من مشاهد

يوم القيامة

الدكتور

كامل محمود عبد المقصود عزب

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

﴿المقدمة﴾

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه نحمده سبحانه على آلائه ونشكره على نعمائه وعلى توفيقه وامتنانه ، ونسأله سبحانه الثبات على دينه في الدنيا والفوز في الآخرة بجناته وأن ينجينا من هول يوم القيامة بفضله ومنه ونشهد أنه الواحد الأحد الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جاء بالهدى ودين الحق ، بعثه ربه رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأخبر عن الله من هول يوم القيامة ما أعلمه الله له – وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا – وبعد .

فإن يوم القيامة يوم عصيب إنه يوم عند الله كألف سنة إن هذا اليوم فيه من المشاهد التى تصور هول ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيبا الذي من شأن معرفته أن يزداد المؤمن ايمانا وأن يعد العدة لهذا اليوم وأن المفرط يرجع إلى ربه وسأورد طرفا من هذه المشاهد سائلا الله عز وجل أن يرزقنا الفهم في كتابه وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – والعمل الصالح الذي برضى به ربنا عنا إنه نعم المولى ونعم النصير وصلى الله وسلم على نبيه محمد وسلم تسليما كثيرا .

من المشاهد الكونية التى تذهل العباد يوم القيامة المشاهد الكونية العلوية (السماء، والشمس ، والقمر، والنجوم ، والكواكب) وما يكون لهم من الحركات المروعة والحادث الذي لم يكن له مثيل من لبل . وقد جاء ذكر الآيات الكونية علوية وسفلية في القرآن الكريم مفرقة أحيانا، وأحيانا أخرى مقترنا بعضها ببعض حيث يأتي المشهد لآية من هذه الآيات الكونية على حدة، وتأتي المشاهد لعدد منها. وسنرى أوصاف هذه المشاهد حسبما جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة وسأتناولها بالحديث مشهدا مشهدا لتتضح صوره كل منها حسب تصوير النصوص لها.

أولاً : مشاهد الكائنات العلوية

السماء . الشمس . القمر. النجوم . الكواكب

أ- مشهد السماء :

قال الله تعالى : ﴿ **الله الذي رفع لسماوات بغير عمد ترونها**﴾ [1]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه الذي بإذنه وأمره رفع السماوات بغير عمد بل بإذنه وأمره و تسخيره رفعها عن الأرض بعدا لا تنال ولا يدرك مداها ، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها مرتفعه عليها من كل جانب على السواء ، وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام وسمكها فى نفسها مسيرة خمسمائة عام ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت ، وبينهما من بعد المسير خمسمائة عام ، وسمكها

---

[1] سورة الرعد ، الآية ٢

خمسمائة عام ، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى : ﴿ **الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن** ﴾ [١] فهذه السماوات السبع على ارتفاعها النائى وسمكها العظيم وعددها الكثير وجمالها الباهر، تأتى ساعة من الساعات ويكون فى ذلك خرابها وزوالها من أماكنها ألا إن تلك الساعة هي يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ **يوم تمور السماء مورا** ﴾ [٢] أى: يوم القيامة تتحرك السماوات لأمر الله تعالى فيموج بعضها فى بعض ، ثم تنشق على عظمها وسمكها وارتفاعها ﴿ **إذا السماء انشقت ۞ وأذنت لربها و حقت** ﴾ [٣]. فهى تأتى طائعة مستجيبة لأمر خالقها الذي ذل له كل شي ، له لأمر من قبل في البناء و من بعد في الخراب . يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد .

إنها عندما تنشق يكون لها لون وشكل ، لياخذ المشهد فى الزياده ، وترى العيون تحقق ما كان يوعد الانسان . قال تعالى : ﴿ **فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان** ﴾ [٤] قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (أى تذوب كما يذوب الدردى [٥] والفضه فى السبك و تتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها . فتاره حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء وذلك من شده الأمر وهول يوم القيامة العظيم)[٦] .

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٧٧٢ ، والأية من سورة الطلاق رقم ١٢

[٢] سورة الطور ، الآية ٩

[٣] سورة الانشقاق ، الآيتان ١ ، ٢

[٤] سورة الرحمن ، الاية ٣٧

[٥] الدردى : الزيت وغيره ، لسان العرب مادة (درد) ٣ / ١٦٦

[٦] تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ٤ / ٤٢٨

وكما قال تعالى : ﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ [١] ، كدردي الزيت ، قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمه والسدي وغير واحد [٢]، ثم يكون الضعف والوهن فى كل مخلوق أمام قوة الخالق سبحانه وتعالى وحتى في السماء على عظمها وقوتها ﴿ **وانشقت السماء فهى يومئذ واهية** ﴾ [٣]، قال الشوكاني رحمه الله تعالى : (أى : انشقت بنزول ما فيها من الملائكة فهى في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية) [٤] .

ويستمر المشهد في هذه السماء و ما يحل بها من أمر الله تعالى . قال تعالى . ﴿ **وإذا السماء فرجت** ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ [٦] فهي تتشقق و يكون فيها فرج أى : أبواب ، كما أخبر سبحانه وتعالى . ﴿ وفتحت السماء فكانت أبوابا ﴾ [٧] . وهذا المشهد الأخير وهو تفتح السماء أبوابا ايذانا بحصول مشهد جديد يظهر أمام الخليقة وهو نزول الملائكة إلى أرض المحشر كما أخبر الله تعالى : ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** ﴾ [٨] قال الشيخ عبد الرحمن السعدى : (وذلك الغمام الذى ينزل الله فيه من فوق السماوات ، فتنفطر له السماوات وتشقق ، وتنزل الملائكة كل سماء فيقفون صفا صفا ، إما صفا واحدا محيطا بالخلائق وإما كل سماء

---

[١] سورة المعراج ، الآية ٨
[٢] تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ٤ / ٦٥٨
[٣] سورة الحاقة ، الآية ١٦
[٤] فتح القدير ٥ / ٢٨١
[٥] سورة المرسلات ، الآية ٩
[٦] سورة الانفطار ، الآية ١
[٧] سورة النبا ، الآية ١٩
[٨] سورة الفرقان ، الآية ٢٥

يكونون صفا ، ثم السماء التى تليها صفا وهكذا ، القصد أن الملائكه – على كثرتهم وقوتهم – ينزلون محيطين بالخلق ، مذعنين لأمر ربهم ، لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله . فما ظنك بالآدمى الضعيف خصوصا الذي بارز مالكه بالعظائم وأقدم على مساخطه ، وقدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها ، فيحكم فيه الملك الخلاق بالحكم الذي لا يجور ، ولا يظلم مثقال ذرة . ولهذا قال : ﴿ **وكان يوما على لكافرين عسيرا** ﴾ [١] لصعوبته الشديدة وتعسر أموره عليه . بخلاف المؤمن فإنه يسير خفيف الحمل : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين بر جهنم وردا** ﴾ [٢] [٣].

وفى نهاية الأمر تنتهي السماء وذلك بنزعها وطيها ، قال تعالى : ﴿ **وإذا السماء كشطت** [٤] ﴾ [٥] كما قال تعالى : ﴿ **والسماوات مطويات بيمينه** ﴾ [٦] وكما قال تعالى : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرضى والسماوات** ﴾ [٧].

ب – مشهد الشمس والقمر :

إن الشمس والقمر من تلك الايات الكونية التي يجرى خرابها يوم القيامة ، ومشهد من المشاهد المفجعه . قال الله تعالى : ﴿ **فإذا برق**

---

[١] سورة الفرقان ، الآية ٢٦ .
[٢] سورة مريم ، الآيتان ٨٥ ، ٨٦ .
[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥ / ٤٧٣ .
[٤] كشطت : قال الفراء : يعنى نزعت فطويت . لسان العرب مادة (كشط) ٧ / ٣٨٧ .
[٥] سورة التكوير ، الآية ١١ .
[٦] سورة الزمر ، الآية ٦٧ .
[٧] سورة إبراهيم ، الآية ٤٨ .

البصر۞ وخسف القمر ۞ وجمع الشمس والقمر ﴾ [١] إن الأبصار تنبهر من تلك المشاهد العظيمة فيعتريها الفذع والخوف من الله تعالى الذي صير هذا المخلوقات إلى هذه الصفة من الخراب والضعف بعد البناء والقوة وكيف بالانسان الضعيف وهو يترقب خائفا ما سيحصل له من الله تعالى ؟

يذهب ضوء القمر وتظلم الشمس وتجمعان معا ويرمى بهما ، الأبصار تتابع تلك المشاهد المفزعة قال الله تعالى : ﴿ **إذا الشمس كورت ﴾** [٢]. وللعلماء أقوال في معنى تكوير الشمس فقيل : ذهابها ، وقيل ذهاب ضوئها وقيل رمى بها وغير ذلك . قال ابن جرير رحمه الله تعالى : (والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال " كورت " كما قال الله جل ثناؤه والتكوير فى كلام العرب . " جمع بعض الشيء إلى بعض " ، و ذلك كتكوير العمامة ، وهو لفها على الرأس وكتكوير الكارة وهو جمع الثياب بعضها إلى بعض ولفها ، وكذلك قوله : ﴿ **إذا الشمس كورت ﴾** إنما معناه : جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤها فعلى التاويل الذي تأولناه وبيناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التاويل وجه صحيح ، وذلك أنها إذا كورت ورمى بها ذهب ضوؤها) [٣].

---

(١) سورة القيامة ، الآيات ٧-٩ .
(٢) سورة التكوير ، الآية ١ .
(٣) جامع البيان عن تأويل أى القرآن ٣٠/٦٤ .

وقد تحدثت السنة عن هذين الكوكبين وما يحصل لها يوم القيامة ومصيرهما . عن عبد الله الداناج [١] قال : (شهدت أبا سلمه بن عبد الرحمن جلس فى مسجد في زمن خالد بن عبد الله ابن أسيد ، قال : فجاء الحسن فجلس إليه فتحدثا فقال أبو سلمه : حدثنا أبو هريرة عن النبى ﷺ قال : (**الشمس والقمر نوران مكوران فى النار يوم القيامة**) . فقال الحسن : ما ذنبهما ؟ فقال : إنما أحدثك عن رسول الله ﷺ فسكت الحسن [٢] .

قال الألبانى فى معنى الحديث : (وليس المراد الحديث ما تبادر إلى ذهن الحسن البصرى أن الشمس والقمر في النار يعذبان فيها عقوبة لهما ، كلا فإن الله عز وجل لا يعذب من أطاعه من خلقه ، ومن ذلك الشمس والقمر كما يشير إليه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب** ﴾ [٣]. فاخبر تعالى أن عذابه إنما يحق على غير من كان يسجد له تعالى فى الدنيا كما قال الطحاوي : وعليه فإلقاؤهما في النار يحتمل أمرين :

---

(١) عبد الله الداناج : تابعى صغير واسم أبيه فيروز ومعنى الداناج (العالم) بلغه الفرس . فتح البارى ٦/ ٢٩٩ .

(٢) أخرجه الإمام الطحاوى فى (مشكل الآثار) ١ / ٦٦ ، ٦٧ ، وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى وقد أخرجه فى صحيحه مختصرا فقال (٢ / ٣٠٤ ، ٣٠٥) : حدثنا مسدد قال : حدثنا عبد العزيز بن المختار به بلفظ : " الشمس والقمر مكوران يوم القيامة " . ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الأول ٢ / ٣٢ . وأنظر رواية البخارى فى فتح البارى ٦ / ٢٩٧ .

(٣) سورة الحج ، الآية ١٨ .

الأول : أنهما من وقود النار ، قال الاسماعيلي : (لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما ، فإن لله فى النار من ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذابا وآلة من آلات العذاب ، ومن شاء الله من ذلك فلا تكون هى معذبه) .

والثانى : أنهما يلقيان فيها تبكيتا لعبادهما . قال الخطابي . (ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك ، ولكنه تبكيتا لمن كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلا . قلت وهذا هو الأقرب ويؤيده أن فى حديث أنس عند أبى يعلي ، كما فى (الفتح ٦ / ٢١٤) : ليراهما من عبدهما – و الله تعالى أعلم) [١]

جـ – مشهد النجوم :

النجوم خلق من ذلك الكون الذي أذن الله تعالى بخرابه وتغير أموره بما شاء الله تعالى ، والخلق يشاهدون ذلك الخراب الذي شاء الله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿ **فإذا النجوم طمست** ﴾ [٢]

فبعد المكان العالى والنور الساطع (زينة للسماء ، وعلامات يقتدى بها ، ورجوما للشياطين) . كما قال تعالى : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين** ﴾ [٣] وكما قال تعالى : ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** ﴾ [٤] .

---

[١] سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الأول ٢ / ٣٤ .
[٢] سورة المرسلات ، الآية ٨ .
[٣] سورة الملك ، الآية ٥ .
[٤] سورة النحل ، الآية ١٦ .

جاء أمر الله تعالى وذل كل شيء لسلطانه وأتى طائعا لأمرة سبحانه وكان من بين ذلك الكواكب ، فإذا خرب الكون وأذن الله تعالى بما شاء في أمرها ذهب ضوؤها ، وانتثرت كما قال تعالى : ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ [١] فتتساقط كما أخبر تعالى : ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ [٢] فياله من مشهد عظيم ، كيف والنجوم على كثرتها وهى تتساقط كانها جراد منتشر ، ثم تذهب حيث شاء الله تبارك وتعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقرأ قارىء : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ وفى الحاضرين أبو الوفاء ابن عقيل فقال له قائل : يا سيدى هب أنه أنشر الموتى للبعث والحساب وزوج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب فلم هدم الأبنية وسير الجبال ودك الأرض وفطر السماء ونثر النجوم وكورت الشمس ؟ فقال : إنما بني لهم الدار للسكنى والتمتع ، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار والتفكر والإستدلال عليه لحسن التأمل والتذكر . فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار خربها لانتقال الساكن منها فاراد أن يعلمهم بان الكون كان معمورا بهم وفى إحالة الأحوال ، وإظهار تلك الأهوال ، وبيان المقدرة بعد بيان العزه ، وتكذيب لأهل الإلحاد ، وزنادقة المنجمين ، وعباد الكواكب والشمس والقمر والأوثان ، فيعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ، فإذا رأوا آلهتهم قد انهدمت ، وأن معبوداتهم قد انتثرت وانفطرت ، ومحالها قد تشققت ظهرت فضائحهم وتبين كذبهم ، وظهر

---

[١] سورة التكوير ، الآية ٢ .
[٢] سورة الانفطار ، الآية ٢ .

أن العالم مربوب محدث مدبر ، له رب يصرفه كيف يشـــاء ، تكذيبـــا لملاحدة الفلاسفة القائلين بالقدم فكم لله من حكمة فى هدم هذه الدار دلالة على عظيم عزته وقدرتـــه وســـلطانه وانفـــراده بالربوبيـــه ، وانقيـــاد المخلوقات بأســـــرها لقـــهره ، وإذعانـــها لمشـــيئته فتبـــارك الله رب العاملين) [1].

---

[1] التفسير القيم لابن القيم ص ٥٠٥ دار العلوم الحديثة ، بيروت ـ لبنان وأنظر بدائع الفوائد ٣ / ١٨٢ .

ثانيا : مشهد الكائنات السفلية (الأرض و الجبال و البحار)

من المشاهد الكونية العظيمة التي تذهل العباد يوم القيامة الأرض والجبال والبحار لما يحصل لها من خراب في يوم القيامه ، وما يكون لها من الحركات المروعة ، والحادث الذى لم يكن له مثيل من قبل ، يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ۞ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ [١]

أ- **مشهد الجبال** :

قال الله تعالى : ﴿ **ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة** ﴾ [٢].

أول ما يجرى للكائنات عند زلزلة الأرض هو ذهاب الجبال لأنها هي الرواسي للأرض كما أخبر الله تعالى عن هذا بقوله : ﴿ **ألم نجعل الأرض مهادا ۞ والجبال أوتادا** ﴾ [٣] ، وقوله تعالى . ﴿ **والجبال أرساها** ﴾ [٤].

فيزيل الله الجبال من أماكنها ويذهبها سبحانه وتعالى : ﴿ **ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا ۞ فيذرها قاعا**

---

[١] سورة الحج ، الآياتان ١ ، ٢ .
[٢] سورة الكهف ، الآية ٤٧ .
[٣] سورة النبأ ، الآياتان ٦ ، ٧ .
[٤] سورة النازعات ، الآية ٣٢ .

صفصفا ۞ لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ [١]

فتبقى الأرض مستوية لا حجر فيها ولا شجر ولا انخفاض ولا ارتفاع فهى ظاهرة مكشوفه جميعها للرائى .

قال الألوسي عند آية الكهف : (والظاهر هنا أول أحوال الجبال ولا مقتضى للصرف عن الظاهر ، ثم المراد بذكر ذلك تحذير المشركين ما فيه من الدواهي التي هي أعظم من ثالثة الأثافي) [٢] [٣].

وقوله تعالى : ﴿ **وترى الأرض بارزة** ﴾ [٤] خطاب لسيد المخاطبين ﷺ أو لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤيه ، أي : وترى جميع جوانب الأرض : ﴿ **بارزة** ﴾ بادية ظاهرة ، أما ظهور ما كان منها تحت الجبال فظاهر ، وأما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك أو تراها بارزة لذهاب جميع ما عليها من الجبال والبحار والعمران والأشجار ، وإنما اقتصر على زوال الجبال لأنه يعلم منه زوال ذلك بطريق الأولى [٥]

وقال تعالى : ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب** ﴾ [٦]

قال ابن كثير :

(أي تراها كانها ثابتة ، باقيه على ما كانت عليه وهى تمر مر السحاب

---

[١] سورة طه ، الآيات ١٠٥ ـ ١٠٧ .
[٢] الأثافى : جمع أثفية : ما يوضع عليه القدر ، لسان العرب مادة (ثفا) ١٤ / ١١٣ .
[٣] روح المعانى (تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) ١٥ / ٢٨٨ .
[٤] سورة الكهف ، الآية ٤٧ .
[٥] نفس المرجع .
[٦] سورة النمل ، الآية ٨٨ .

، أى تزول عن أماكنها . كما قال تعالى : ﴿ **يوم تمور السماء موراً ۞ وتسير الجبال سيرا** ﴾ [١] [٢].

تزال الجبال عن أماكنها وذلك بصيرورتها هباء ثحم ذهابها .

قال تعالى : ﴿ **وبست الجبال بسا** ﴾ [٣] ،قال الفراء: صارت كالدقيق ، وذلك قوله : ﴿ **وسيرت الجبال** ﴾ [٤] ﴿ **وبست** ﴾ فبتت فصارت أرضا ، وقيل نسفت كما قال تعالى : ﴿ **ينسفها ربى نسفا** ﴾ [٥] والصحيح هو نسفها كما هو ظاهر الآية بعد أن نكون فتاتا كالدقيق ، كما قال تعالى : ﴿ **وكانت الجبال كثيبا مهيلا** ﴾ [٦] قال الفراء :(الكثيب : الرمل ، والمهيل : الذي تحرك أسفله فينهال عليك من أعلاه) [٧] . هذا وصف ، ثم يعطي سبحانه وتعالى وصفا آخر لما يحصل للجبال من عجائب قدرته تعالى وأن لا شيء وإن عظم بمستحيل مع قدرة الله تعالى فيقول عز وجل : ﴿ **وتكون الجبال كالعهن** ﴾ [٨] ، وكيف هذا العهن ؟ فيقول تعالى فى موضع آخر : ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ [٩]، والعهن هو : الصوف المصبوغ ألوانا [٩] ، المنفوش : النفش : مدك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض [١٠] .

---

[١] سورة الطور ، الآياتان ٩ ، ١٠ .
[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٦٠٣ .
[٣] سورة الواقعة ، الآية ٥ .
[٤] معانى القرآن للفراء ٣ / ١١٢١ عالم الكتاب .
[٥] لسان العرب ٦ / ٢٧ .
[٦] سورة المزمل ، الآية ١٤ .
[٧] معانى القرآن للفراء ٣ / ١٩٨ .
[٨] سورة المعارج ، الآية ٩ .
[٩] سورة القارعة ، الآية ٥ .
[٩] لسان العرب ١٣ / ٢٩٧ .
[١٠] لسان العرب ٦ / ٣٥٧ .

هذه حال الجبال يوم القيامة وصفاتها المروعه بعد الصلابه والقوة والكبر والكثرة تصير بهذه الصفات ثم يذهبها الله تعالى حتى تصبح لا أثر لها . قال تعالى : ﴿ **وسيرت الجبال فكانت سرابا** ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ **وإذا الجبال سيرت** ﴾ [٢] .

ب - مضعهد الأرض :

قال الله تعالى . ﴿ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [٣] انظر بعد الحياة والاستقرار ماذا سيكون لثرض ؟ قال الله تعالى . ﴿ إذا رجت الأرض رجا ﴾ [٤] إنه الخراب لهذا الكون والانتقال إلى دار أخرى .

فمن مشاهد القيامة : تحرك الأرض وارتجاجها وتحركها وارتجافها كما قال تعالى: ﴿ **يوم ترجف الأرضى** ﴾ [٥] ثم تتزلزل : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ [٦] ثم تدك . ﴿ **وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة** ﴾ [٧] ﴿ **كلا إذا دكت الأرض دكا دكا** ﴾ [٨] تمهد وتسوى وتصبح كالبساط الواحد لا ارتفاع ولا انخفاض فيها كما قال تعالى :

---

[١] سورة النبأ ، الآية ٢٠ .
[٢] سورة التكوير ، الآية ٣ .
[٣] سورة الرعد ، الآية ٣ .
[٤] سورة الواقعة ، الآية ٤ .
[٥] سورة المزمل ، الآية ١٤ .
[٦] سورة الزلزلة ، الآية ١ .
[٧] سورة الحاقة ، الآية ١٤ .
[٨] سورة الفجر ، الآية ٢١ .

﴿ فيذرها قاعا صفصفا ۞ لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ [١] وتمد كما قال تعالى : ﴿ وإذا الأرض مدت ﴾ [٢] مثل مد الأديم [٣] كما في الحديث : " ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم " [٤] وتلقى ما في بطنها من الأموات وتتخلى عنهم [٥] ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ [٦] مثل قوله تعالى : ﴿ وأخرجت الارض أثقالها ۞ وقال الإنسان ما لها ﴾ [٧] ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى . (أى الانسان استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركه مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذى لا محيد عنه ، ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا الله الواحد القهار) [٨] .

ياله من مشهد عظيم عندما تنطق الأرض وتتكلم وتشهد على كل من كان على ظهرها من العاملين بما كانوا يعملون بعد إذن الله تعالى

---

[١] سورة طه ، الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ .
[٢] سورة الانشقاق ، الآية ٣ .
[٣] الأديم : الجلد ما كان ، لسان العرب مادة (آدم) ١٢ / ٩ .
[٤] هذه قطعة من حديث طويل رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ذكره ابن ماجة فى سننه كتاب الفتن باب ٣٣ حديث ٤٠٨١ . قال محمد فؤاد عبد الباقى فى تعليقه على هذا الحديث فى سنن ابن ماجة : (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، ومؤثر بن عفازة ذكره ابن حبان فى الثقات . وباقى رجال الإسناد ثقات ورواه الحاكم وقال هذا صحيح الإسناد) ، المستدرك ٤ / ٥٤٦ ، أ هـ . ورواه الإمام أحمد فى المسند ١ / ٣٧٥ وقال أحمد محمد شاكر : (إسناده صحيح) ، أنظر مسند الأمام أحمد تحقيق أحمد محمد شاكر ٥ / ١٨٩ حديث ٣٥٥٦ .
[٥] قاله مجاهد وسعيد وقتادة . أنظر تسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٧٦٩ .
[٦] سورة الانشقاق ، الآية ٤ .
[٧] سورة الزلزلة ، الآيتان ٢ ، ٣ .
[٨] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٨٨٥ .

لها بذلك ، قال تعالى . ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها ۞ بأن ربك أوحى لها** ﴾ [١] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها** ﴾ قال : " أتدرون ما أخبارها ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال " فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل يوم كذا وكذا وكذا ، فهذه أخبارها " [٢] .

بعد هذه المشاهد للأرض ، يبدلها الله تعالى كما قال عز وجل : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات** ﴾ [٣] وقد اختلف في تبديل الأرض ، فقيل :

١ - تبديل الأرض أرضا أخرى من فضه .

٢ - وقيل تبدل نارا .

٣ - وقيل تبدل خبزة .

٤ - وقيل تبدل غير ذلك .

ذكر هذا ابن جرير وقال : (وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال . معناه : يوم تبدل الأرض التى نحن عليها اليوم يوم القيامه غيرها ، وكذلك السماوات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه ، وجائز أن تكون المبدله أرضا أخرى من فضه وجائز أن تكون نارا ، وجائز

---

[١] سورة الزلزلة ، الآيتان ٤ ، ٥ .

[٢] رواه الترمذى فى سننه كتاب تفسير سورة الزلزلة حديث ٣٣٥٣ ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه الإمام أحمد فى المسند ٢ / ٣٧٤ .

[٣] سورة إبراهيم ، الآية ٤٨ .

أن تكون خبزا ، وجائز أن تكون غير ذلك ، ولا خبر فى ذلك عندنا من الوجه الذى يجب التسليم له . أى ذلك يكون فلا قول فى ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل) [١].

وقال تعالى : ﴿ **والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ [٢] . وهذا مشهد عظيم فيه بيان لعظمة الله تعالى وقدرته وهيمنته على خلقه أجمعين .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (سمعت رسول ﷺ يقول : " يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرضى ؟ " [٣] وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " يطوى الله عز وجل السماوات يوم القيامة ، ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول : أنا لملك ، ابن الجبارون أين المتكبرون ؟ " [٤] .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : (هذه الأحاديث وما فى معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته وقد تعرف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته وكلها تعرف وتدل على

---

[١] جمع البيان عن تأويل أى القرآن ١٣ / ٢٥٤ الطبعة الحلبية ، وانظر فتح البارى ١١ / ٣٧٥ وما ذكره ابن حجر عن هذا الموضوع .

[٢] سورة الزمر ، الآية ٦٧ .

[٣] رواه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سورة ٣٩ حديث ٤٨١٢ ، ورواه مسلم كتاب صفة المنافقين حديث ٢٧٨٧ .

[٤] رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفة المنافقين حديث ٢٧٨٨ ، ورواه أبو داود فى سننه كتاب السنة حديث ٤٧٣٢ .

كماله ، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له فى ربوبيته وإلهيته وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته ، إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، وهذا هو الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم على الاسلام والإيمان) [١] وعن عائشه رضى الله عنها قالت : (سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات** ﴾ فأين يكون الناس يومئذ ؟ فقال : " على الصراط ") [٢].

هذه المشاهد التى تمر بها الأرض وما يحصل لها يوم القيامة وحتى تصبح أرضا غير تلك التى كان الناس عليها ، وهى مقر حشر الخلق وعليها الوقوف ويجرى الحساب عليها ، ومنها المنصرف إلى النار أو الجنه . نسأل الله السلامة من النار والفوز بالجنة ٠

جـ - مشهد البحار :

من المشاهد المهولة فى يوم القيامة تغير البحار عن طبيعتها المعهودة لما يحصل لها من أمر الله تعالى وذلك بخرابها كما قال تعالى : ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ [٣]. وقد ذكر المفسرون أقوالا كثيره لمعنى سجرت وكلها تعطى معنى للتغيرات المفجعه التى أرادها الله تعالى .

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٥٢٣ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ٠
(٢) رواه مسلم فى صحيحه ، صفات المنافقين حديث ٢٧٩١ ٠
(٣) سورة التكوير ، الأية ٦ ٠

قال الشوكاني [١]: ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ أى : أوقدت فصارت نارا تضطرم . وقال الفراء : ملئت بأن صارت بحرا واحدا وكثر ماؤها ، وبه قال الربيع بن خيثم والكلبى ومقاتل والحسن والضحاك . وقيل أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت ، وقيل سجرت فصارت بحرا واحدا . وروى عن قتادة وابن حبان أن معنى الآيه : يبست ولا يبقى فيها قطرة ، يقال سجرت الحوض أسجره سجرا : إذا ملأته .

وقال القشيري : هو من سجرت التنور أسجره سجرا . إذا أحميته قال ابن زيد وعطيه وسفيان ووهب وغيرهم : (أوقدت فصارت نارا) ، وقيل معنى سجرت : أنها صارت حمراء كالدم ، من قولهم . عين سجراء ، أى حمراء . قرأ الجمهور : (سجرت) بتشديد الجيم ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيفها [٢].

وقال تعالى : ﴿ **وإذا البحار فجرت** ﴾ [٣] أى : فتح بعضها على بعض ، عندما تسوى الأرض بعد زوال الجبال وتصبح قاعا صفصفا يذهب البرزخ الحاجز والحجر الذى كان يمنع الماء من الفيضان على الأرض فتتدفق المياه على بعضها وهى نار تضطرم فتوجف القلوب وتضطرب من هذا المشهد المروع .

---

[١] الشوكانى هو : محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى ثم الصنعانى المفسر المعروف ولد فى وسط نهار الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة ١١٧٣ هجرية فى بلده هجرة شوكان ، وتوفى رحمة الله ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخر سنة ١٢٥٠ هـ ، فتح القدير ١/ ٤ .

[٢] فتح القدير الجامع بين فنى الراوية والدارية من علم التفسير ٥ / ٣٨٨ .

[٣] سورة الانفطار ، الآية ٣ .

ثالثا . مشاهد الناس يوم القيامة

أولا : خروج الناس من الأجداث [١]

أردنا من ذكر هذا المشهد الصفه التى يكون عليها الناس عند خروجهم من قبورهم بعد النفخه الأخيرة أحياء ينظرون ، وما يحصل فى ذلك اليوم من الأهوال المفجعة والحوادث المحزنه . قال الله تعالى : ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ [٢]

إذا صعق الناس جميعا إلا من شاء الله تعالى ، بقوا إلى ما شاء الله ثم يرسل الله مطرا كانه الطل فتنبت منه أجساد الناس فإذا نفخ النفخة الأخيرة أرسل الله الأرواح إلى الأجساد فقام الناس ينظرون [٣] قال تعالى : ﴿ **يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج** ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير** ﴾ [٥]

وقد جاء وصف هذا المشهد فى مواضع من كتاب الله تعالى فقال عز وجل : ﴿ **وإذا القبور بعثرت** ﴾ [٦] وهذا مشهد لما يحصل للقبور يوم القيامة عند بعثرتها وخروج ما فيها من الأموات كما قال تعالى : ﴿ **أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور** ﴾ [٧] ففى تلك الساعة التى تبعثر فيها

---

(١) الأجداث : القبور .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٦٨ .
(٣) أنظر صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ، حديث ٢٩٤٠ .
(٤) سورة ق ، الآية ٤٢ .
(٥) سورة ق ، الآية ٤٤ .
(٦) سورة الانفطار ، الآية ٤ .
(٧) سورة العاديات ، الآية ٩ .

القبور ويخرج منها الأموات يعلم الإنسان حقيقة الأمر وهول ما يحصل في يوم القيامة .

ثم بين سبحانه وتعالى الصورة التي يكون عليها الناس في يوم القيامه فقال ﴿ **القارعة ۞ ما القارعة ۞ وما أدراك ما القارعة ۞ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ۞ وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ [1] فهم عندما يخرجون من قبورهم وتسرى فيهم أرواحهم ويرون الأهوال العظيمة في أنفسهم وهم حفاة عراة ، وفي الكائنات الأخرى ، فلا يدرون أين يذهبون أو يتجهون يموج بعضهم في بعض مثل الفراش في تداخل بعضه في بعض ، فهم يتطلعون إلى ما سيكون من خالقهم حيث الانقطاع من الدنيا – دار الغرور – والرجوع إليه سبحانه وتعالى حفاة عراة لا طعام ولا شراب ، ولا ظهير ولا نصير ، انقطعت عنهم الأسباب وتفرقت بهم السبل لا ينفع حبيب حبيبا ، الجميع مستسلمون لأمر رب الأرباب ، منتظرون ما سيكون في الحساب وما بعد الحساب

ثانيا : ذهول الناس عن أنفسهم وما يملكون

إذا بعدت الحوادث المفجعة عن الإنسان فى الحياة الدنيا فهو فى أمن واستقرار وطمأنينه وأمان ، فإذا حل به حادث مروع فهو على قدر ذلك يكون مخاوفه وقلقه وحزنه وأسفه ثم سرعان ما تنتهي .

---

[1] سورة القارعة ، الآيات ١-٥ .

ولكن حوادث اليوم الآخر كسرها لا يجبر ، وجرحها لا يلتئم ، وحزنها لا ينسى وفراقها لا يعود ، إلا أن يشاء الله تعالى .

والقرآن الكريم يصور لنا مشهد الناس عند زلزلة الساعة حيث انتهاء عمر الدنيا وبداية اليوم الآخر فيقول تعالى : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ۞ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ [1] يخاطب الله تعالى عباده بأن يتقوه وذلك بإخلاص العبادة له دون سواه ويذكرهم بأهوال ما هم قادمون عليه في نهاية الأمر وأنه لا يخلصهم وينجيهم من أهوال وعذاب ذلك إلا هو سبحانه وتعالى إذا كانوا على مرضاته ، فبين عز وجل عظم ذلك اليوم وما يحصل فيه من الأهوال العظيمة ، التى بسببها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ليكون لها شأن غير ما هو أعظم الشأن عندها وهو ابنها – حيث حنان الأم على الابن وعطفها عليه – فيحصل لها ما يشغلها عن ذلك عندما ترجف الأرض وتتحرك وتزحزح عن موضعها ، وتغير ما كان معتادا عند الإنسان بتغيرات ما يحصل في يوم القيامة من الأهوال ، وتضع الحوامل حملها من شدة الخوف والرعب والفزع من جراء ذلك ، وكذا الناس جميعا يصبحون في حال من شرب السكر وذهب عقله وان لم يكونوا كذلك ، ولكن من شدة الهول والفزع والخوف الذي أصابهم وحتى أصبحوا بتلك الحال .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى : (ذلك بأنها إذا

---

[1] سورة الحج ، الآيتان ١ ، ٢ .

وقعت الساعه رجفت الأرض وزلزلت زلزالـــها وتصدعـــت الجبـــال واندكت وكانت كثيبا مهيلا ثم كانت هباء منثورا ، ثم انقسم الناس ثلاثـــة أزواج . فهناك تنفطر السماء ، وتكور الشمس والقمر وتنتـــثر النجـــوم ويكون من القلاقل " والبلايا ما تنصدع له القلوب وتوجل منه الأفئـــدة ، وتشيب منه الولدان ، وتذوب له الصم الصلاب) [١] . وقال الأســـتاذ / سيد قطب ـــ رحمه الله ـــ وهو يعطي صورة لهذا المشـــهد العظيـــم : مطلع عنيف رعيب ، ومشهد ترتجف لهوله القلوب ، يبدأ بالنداء الشامل للناس جميعا : ﴿ **يأيها الناس** ﴾ يدعوهم إلى الخوف من الله ﴿ **اتقـــوا ربكم** ﴾ ويخوفهم ذلك اليوم العصيب ﴿**إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ وهكذا يبدأ بالتهويل المجمل وبالتجهيل الذى يلقى ظل الهول يقصر عـــن تعريفه التعبير فيقال : إنه زلزلة ، وإن الزلزلة ﴿ **شيء عظيم** ﴾ مـــن غير تحديد ولا تعريف . ثم يأخذ في التفصيل فإذا هو أشد رهبـــة مـــن التهويل . . إذ هو مشهد حافل بكل مرضعة ذاهله عما أرضعت تنظـــر ولا ترى [٢] وتتحرك ولا تعي . وبكل حـــامل تســـقط حملـــها للـــهول المروع ينتابها . . وبالناس سكارى وما هم بسكارى يبتدى السكر فـــي نظراتهم الذاهلة وفي خطواتهم المترنحة . مشهد مزدحم بذلـــك الحشـــد المتماوج تكاد العين تبصره لحظة التـــلاوه ، بينمـــا الخيـــال يتمـــلاه ، والهول الشاخص يذهله ، فلا يكاد يبلغ أقصاه وهو هول حي لا يقـــاس بالحجم والضخامة ، ولكن يقاس بوقعـــه فـــى النفـــوس الادميـــة فـــي

---

[١] تفسير كلام المنان ٥ / ٢٧٠ .

[٢] قال الشنقيطى : والرؤية بصرية لأنهم يرون زلزلـــة الأشياء بأبصارهم وهذا هو الظاهر . وقيل : إنها من رأى العلمية . أضواء البيان ٥ / ٦ وقال الألوسى والرؤية بصريـــة ـ روح المعانى ١٧ / ١١٣ دار الفكر .

المرضعات الذاهلات عما أرضعن - وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي فمه ثديها إلا للهول الذي لا يدع بقية من وعي - والحوامل الملقيات حملهن ، وبالناس سكارى وما هم بسكارى ، ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ إنه مطلع عنيف مرهوب تتزلزل له القلوب[١] .

وقد اختلف في وقت هذه الزلزلة على قولين :

القول الأول : أنها في الدنيا قبل يوم القيامة ، قاله علقمة والشعبى وابن جريج . وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال : (ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت ففزع الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب ، والوحش فماج بعضهم في بعض ، فقالت الجن للإنس : " نحن نأتيكم بالخبر " ، فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجج ، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض إلى الأرض السابعة ، والسماء إلى السماء السابعة ، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فماتوا)[٢]. ومدار هذا القول على حديث الصور الطويل وحديث الصور الطويل ضعفه العلماء[٣] . قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى : (وهذا القول من حيث المعنى له وجه من النظر ولكنه لم يثبت ما يؤيده من النقل ، بل الثابت من النقل يؤيد خلافه ، وهو القول الآخر)[٤] .

---

(١) فى ظلال القرآن ٤ / ٢٤٠٨ .

(٢) رواه ابن جرير الطبرى : ٣٠ / ٦٣ عند قوله تعالى (إذا النجوم انكدرت) وفى سنده الحسين بن واقد ، قال الحافظ فى التقريب : (ثقة له أو هام) وذكره بن كثير ٤ / ٤٧٥ من رواية ابن جرير وابن أبى حاتم . أنظر تفسير زاد الميسر ٥ / ٤٠٤ (المكتب الإسلامى) .

(٣) أنظر الكلام على حديث الصور فى فتح البارى شرح صحيح البخارى ١١ / ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٤) أضواء البيان ٥ / ٩ .

القول الثانى : أنها تكون يوم القيامة بعد قيام الناس من القبور ، والأدلة على هذا كثيرة سنذكر منها ما يؤيد رجاحة هذا القول وأن أهوال القيامة تحصل جميعها يوم القيامة عندما يقوم الناس جميعا من قبورهم .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار ، قال : يارب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف – أراه قال – تسعمائه وتسعة وتسعين ، فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد " ، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ، فقال النبي ﷺ : " من يأجوج ومأجوج تسعمائه وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد ، ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة – فكبرنا ثم قال : ثلث أهل الجنة – فكبرنا ثم قال : شطر أهل الجنة " فكبرنا [1]

وعن عمران ابن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ ، قال . أنزلت عليه هذه وهو في سفر [2] . فقال : " أتدرون أي يوم ذلك ؟ " ، فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال :

---

(١) رواة البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سورة الحج باب ١ حديث ٤٧٤١ ، ورواه أحمد فى المسند ٣ / ٣٢ و ٣٣ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث ٢٢٢ وجاء فى بعض الطرق للحديث عند البخارى" أو كالرقمة فى ذراع الحمار كتاب الرقاق باب ٤٦ حديث ٦٥٣٠

(٢) كان ذلك فى منى ، أنظر فتح البارى ١١ / ٣٩٢ .

" ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار فقال : يارب وما بعث النار ؟ قال . تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة " ، قال : فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول الله ﷺ : " قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية " ، قال . " فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين ، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة [١] في ذراع الدابة أو كالشامة [٢] فى جنب البعير – ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة – فكبروا ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة – فكبروا ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة " فكبروا قال : لا أدري قال الثلثين أم لا ؟ [٣] . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال . تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وعنده أصحابه : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ إلى آخر الآية ، فقال : " هل تدرون أي يوم ذاك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : " ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعث النار – أو قال – بعثا إلى النار فيقول : يارب من كم ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعه وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنه " ، فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبه والحزن ، فقال رسول الله ﷺ : " إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة " ففرحوا ، فقال النبى ﷺ : " اعملوا

---

[١] الرقمة : قال النووى : قال أهل اللغة : الرقمتان فى الحمار هما الأثران فى باطن عضده ، وقيل هى : الدائرة فى ذراعيه ، وقيل هى : الرمة الناتئة فى ذراع الدابة من داخل . انظر سنن الترمذى ٥ / ٣٢٣ ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

[٢] الشامة : الخال والعلامة فى الجسد ، نفس المرجع .

[٣] رواه الترمذى فى كتاب التفسير سورة الحج ، باب ٢٣ حديث ٣١٦٨ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن عمران ابن حصين عن النبى ﷺ ، ورواه الإمام أحمد فى المسند ٤ / ٤٣٥ .

وأبشروا فإنكم بين خليقتين لم يكونا مع أحد إلا كثرتاه ، يأجوج ومأجوج وإنما أنتم فى الناس أو فى الأمم كالشامة فى جنب البعير أو الرقمة فى ذراع الناقة وإنما أمتى جزء من ألف جزء " [١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : " أول من يدعى يوم القيامة آدم ، فتراءى ذريته فيقال : هذا أبوكم آدم ، فيقول : لبيك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول يارب كم أخرج ؟ فيقول : أخرج من كل مائه تسعة وتسعين " ، فقالوا يا رسول الله ، إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا ؟ قال : " إن أمتي كالشعرة فى الثور الأسود " [٢].

من هذه الأحاديث الصحيحة يتضح أن زلزلة الساعه المذكورة هي فى يوم القيامه عند قيام الناس من قبورهم ، وإن كان هناك تساؤلات ترد على الحامل والمرضع كيف يكون ، ذلك يوم القيامة حيث لا رضاع ولا حمل فاجيب عن هذا باحتمالين :

الاحتمال الأول : أن ذلك كناية من شدة الهول ، فلو كان هناك مرضعة لذهلت عن رضيعها ، ولو كان هناك حامل لأسقطت حملها . كقوله تعالى : ﴿ **يوما يجعل الولدان شيبا ۞ السماء منفطر به** ﴾ [٣] .

الاحتمال الثانى : أن من مات على شيء بعث عليه [٤] فالمرضع

---

[١] رواه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٥٦٨ ، وقال : هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

[٢] رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب الرقاق باب ٤٥ حديث ٦٥٢٩ .

[٣] سورة المزمل ن الآيتين ١٧ ، ١٨ .

[٤] لعل هذا يصدق عليه قوله ﷺ : " يبعث كل عبد على ما مات " من حديث جابر عن أحمد فى المسند ٣ / ٣٣١ .

تبعث وهي ترضع ولدها والحامل تبعث وهى بحملها فمن أهوال ذلك اليوم تذهل المرضع عن رضيعها وتضع الحامل حملها . والله أعلم بالصواب . ويرد أيضا سؤال على حديث أبى هريرة رضي الله عنه : " أخرج من كل مائة تسعة وتسعين " مع أن بقية الأحاديث : " **من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعين** " ، قال الكرمانى [١] ردا على هذا . (أن مفهوم العدد لا اعتبار له فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد ، والمقصود من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين) [٢].

ثالثا : تغير أحوال الناس

من المعلوم أنه فى الحياة الدنيا يحصل التعاطف بين الناس خاصة الأقرباء من الآباء والأبناء والأمهات والأخوان والأصدقاء فيكون الأخذ والعطاء وتبادل المصالح ، وقد تحصل المشاحة بين الأقرباء وذلك حسب أحوال الناس .

ولكن يوم القيامة تنقطع الصلة بين الناس في الأخذ والعطاء وحتى بين الأقرباء ، الأب وابنه ، والأم وابنها ، والأخ وأخيه ، والصديق

---

(١) الكرمانى : محمد بن يوسف بن على بن سعيد شمس الدين الكرمانى ، ولد سنة ٧١٧ هـ . عالم بالحديث أصله من كرمان ، اشتهر فى بغداد . قال ابن حجي : تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنه ، واقام مده بمكة ، وفيها فرغ من تاليف كتابه . (الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخاري - ط) . خمسة وعشرين جزءاً صغيراً ، قال ابن القاضي شهبة : فيه اوهام وتكرار كثير ولا سيما في ضبط أسماء الرواة وله : (ضمائر القرآن - خ) و(النقود والردود في الأصول - خ) مختصرة ، و(شرح لمختصر ابن الحاجب) سماه (السبعة السيارة) ! لأنه جمع فيه سبعة شروح . و (انموذج الكشاف - خ) تعليق عليه . في مجموعة بالبلدية (ن ١٩٥٦ - د) ومات راجعا من الحج في طريقه إلى بغداد ودفن فيها سنة ٧٨٦ هـ (الإعلام للزركلي) ٧ / ١٥٣ .

(٢) فتح البارى ١١ / ٣٩٠

وصديقه ، وذلك من هول ما يرون ومن أمس الحاجة لما يملكون حيث لا نجاة أحد إلا باعماله الصالحة ثم برحمة أرحم الراحمين . وان كانت المحبة موجوده بين المتقين والعداوه حاصلة بين الكافرين وإن كانت صداقة وقربى في الدنيا . قال الله تعالى . ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ [١] . أما الحسنات فهيهات هيهات أن يعطى أحد أحدا ولو مثقال ذرة ولو كان أقرب قريب أو أصدق صديق .

فتغير أحوال الناس التى كانت في الدنيا على بعضهم لها يوم القيامة . قال الله تعالى ﴿ **فإذا جاءت الصاخة ۞ يوم يفر المرء من أخيه ۞ وأمه وأبيه ۞ وصاحبته وبنيه ۞ لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه** ﴾ [٢]

إذا كان يوم القيامة ، أصبح لايعرف أحد أحدا في إسداء معروف ، وحتى القريب يهرب من قريبه كل يقول : (نفسي نفسي) يرجو النجاة من عذاب الله تعالى الذى لا يدفعه عنه إلا الأعمال الصالحة .

قال عكرمة : (يلقى الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه أي بعل كنت لك ؟ فتقول : نعم البعل كنت وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لى لعلي أنجو مما ترين . فتقول له : ما أيسر ما طلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذى تخاف . قال . وإن الرجل ليلقي ابنه فيتعلق به فيقول : يا بني أى والد كنت لك ؟ فيثني بخير . فيقول له : يا بني احتجت إلي مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : با أبت ما

---

[١] سورة الزخرف ، الآية ٦٧

[٢] سورة عبس ، الآيات ٣٣ ـ ٣٧

أيسر ما طلبت ولكنى أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا) [١].

إنه لمشهد عظيم يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه بل والرسل الذين هم من أرحم الناس للناس خاصة أولى العزم منهم يقولون يوم القيامة عندما يستشفع بهم الناس إلي ربهم : (نفسى نفسي) [٢]

قال الله تعالي : ﴿ **إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ۞ يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ۞ إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم** ﴾ [٣] يوم القيامة لا ينفع قريب قريبه ، ولا يدفع عنه شيئا مما يحل به في ذلك اليوم ولا ينفع إلا رحمه أرحم الراحمين .

قال تعالى : ﴿ **فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ [٤] قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى : في الآية سؤالان :

السؤال الأول : ما وجه نفي الأنساب بينهم مع أنها باقية كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ **فإذا جاءت الصاخة۞ يوم يفر المرء من أخيه ۞ وأمه وأبيه ۞ وصاحبته وبنيه** ﴾ ؟ ففى هذه الآية ثبوت الأنساب بينهم .

---

(١) تفسير القرآن العظيم الابن كثير ٤ / ٧٤٣ ، دار الكتب العلمية تحقيق حسن بن إبراهيم زهران .

(٢) انظر حديث الشفاعة فى صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث ١٩٤ .

(٣) سورة الدخان ، الآيات ٤٠ - ٤٢

(٤) سورة المؤمنون ، الآية ١٠١

السؤال الثانى : أنه قال : ﴿ **ولا يتساءلون** ﴾ مع أنه ذكر في آيات أخر أنه في الآخرة يتساءلون كقوله : ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾ [١] ؟ إلى غير ذلك من الآيات .

الجواب عن السؤال الأول : أن المراد بنفي الأنساب انقطاع آثارها التى كانت مترتبة عليها في دار الدنيا من التفاخر بالآباء والنفع والعواطف والصلات فكل ذلك ينقطع يوم القيامة ، وليس المراد نفى حقيقة الأنساب .

الجواب على السؤال الثانى : من ثلاثة أوجه :

الأول : أن نفى السؤال بعد النفخه الأولى وقبل الثانية واثبات ما بعدهما وهذا الجواب فيما يظهر لا يخلو من نظر .

الثاني : أن نفي السؤال عند اشتغالهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط وإثباته فيما عدا ذلك .

الثالث : أن السؤال المنفي سؤال خاص وهو سؤال بعضهم العفو من بعض فيما بينهم من الحقوق لقنوطهم من الاعطاء أ.هـ . [٢]

تصور بعد أن كانوا أغنياء أصبحوا فقراء إلا من وفقه الله للأعمال الصالحة ، وبعد ما كانت الصلات والعطاء أصبحت المشاحة وهروب بعضهم من بعض حتى أقرب قريب وبعد أن كانوا لابسين الثياب وأنواع الزينة أصبحوا عراة . وبعد أن كانوا منتعلين بافخر الأحذية أصبحوا حفاة وبعد أن كانت البيوت مساكن فاخره وبها أشهى

---

[١] سورة الطور ، الآية ٢٥ ، وسورة الصافات ، الآية ٢٧

[٢] أضواء البيان ٥ / ٨٨٢ بتصرف بسيط .

الماكولات والمشروبات أصبح لا سكن ولا طعام ولا ماء . تغيرت جميع أحوال الدنيا وملذاتها بأحوال أخرى يوم القيامة .

رابعاً : صفة مجيئهم لأرض المحشر

قال الله تعالى : ﴿ **فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ۞ خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كانهم جراد منتشر ۞ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ [١] ، عند خروجهم من القبور ، وبينما الناس في حيرتهم ودهشتهم ، وسوء مظهرهم ، فإذا بمناد الحق – داعي الله – يدعوهم إلى موقف الحساب ليقضي الله بين عباده ويوفيهم أجورهم ، فيتجهون إلى ذلك الموقف وهم مثل الجراد في انتشاره لكثرتهم ، ويسعون إلى ما دعوا إليه ذليلي الأبصار من عظم الأمر وهوله ، مهطعين [٢] لذلك .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : (وإنما وصف جل ثناؤه بخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم والمراد به أجسامهم لأن أثر ذلة كل ذليل وعزة كل عزيز تتبين في ناظريه دون سائر جسده ، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع) [٣]. فى تلك الساعة يرى الكافر بربه فى الدنيا، المكذب باليوم الآخر ، عظم هذا اليوم وشدة هوله : ﴿ **فذلك يومئذ يوم عسير ۞ على الكافرين غير يسير** ﴾ [٤] وقد بين سبحانه

---

(١) سورة القمر ، الآيات ٦ - ٨

(٢) مهطعين . هطع يهطع هطوعا. واهطع : اقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه ، لسان العرب مادة (هطع) ٨ / ٣٧٢

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن ٢٧ / ٩٠

(٤) سورة المدثر ، الآيتان ٩ ، ١٠

وتعالى صفة مجيئهم إلى أرض المحشر عندما يدعون لذلك فقال تعالى : ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ۞ خاشعه أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون** ﴾ [١]. (مجيبين لدعوة الداعى مهطعين كأنهم إلى علم يؤمون ويقصدون فلا يتمكنون من الاستعصاء على الداعى ولا الالتواء عن نداء المنادى بل يأتون أذلاء مقهورين بين يدى رب العالمين . وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم واستولى على أفئدتهم فخشعت منهم الأبصار وسكنت الحركات وانقطعت الأصوات : ﴿ **ذلك** ﴾ الحال والمال هو : ﴿ **اليوم الذي كانوا يوعدون** ﴾ ولابد من الوفاء بوعد الله) [٢].

فجميع الخليقة من إنس وجن ووحوش ودواب يأتون ساعين إلى أرض المحشر ، قال تعالى : ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير** ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ [٥]. وقال تعالى : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ [٦] . قال ابن عباس : (**يحشر كل شىء حتى الذباب**) [٧] . وقال تعالى :

---

(١) سورة المعارج ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤
(٢) تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدى ٧ / ٤٧٩
(٣) سورة الكهف ، الآية ٤٧
(٤) سورة ق ، الآية ٤٤
(٥) سورة الأنعام ، الآية ٣٨
(٦) سورة التكوير ، الآية ٥
(٧) تفسير القران العظيم لابن كثير ٤ / ٧٤٨

﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ [١] وذلك بجمع كل نظير إلي نظيره فى الخير والشر . تأتى جميع الخلائق بعد بعثها إلي أرض الموقف ليحاسب الله كلا علي ما كان في الحياة الدنيا وذلك عندما يدعون لذلك قال تعالى: ﴿ واستمع يوم ينادِ المناد من مكان قريب ۞ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ۞ إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير ۞ يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ﴾ [٢] .

وكما قال تعالى : ﴿ ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ۞ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ۞ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ [٣] .

خامسا : جثو الأمم للحساب

قال الله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ۞ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ۞ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [٤] .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال : (ان الناس يسيرون يوم القيامة جثا [٥] كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع حتى تنتهي

---

[١] سورة التكوير ، الآية ٧

[٢] سورة ق ، الآيات ٤١ ـ ٤٢

[٣] سورة يس ، الآيات ٥١ ـ ٥٣

[٤] سورة الجاثية ، الآيات ٢٧ ـ ٢٩

[٥] جثا : بضم اوله والتنوين جمع جثوة كخطوة وخطا ، وحكى ابن الأثير انه روى (جثي) بكسر المثلثة وتشديد التحتانية جمع جاث وهو الذي يجلس على ركبتيه . وقل ابن الجوزى عن ابن الخشاب إنما هو (جثى) بفتح المثلثة وتشديدها جمع جاث مثل غاز وغزى ، انظر فتح البارى ٨ / ٤٠٠ .

الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود) [١].

قال الاستاذ سيد قطب : (إنه يجعل لهم في الآية الأولى عاقبة المبطلين ، فهم الخاسون في هذا اليوم الذي يشكون فيه ، ثم تنظر من خلال الكلمات فإذا ساحة العرض الهائلة ، وقد تجمعت فيها الأجيال الحاشدة التي عمرت هذا الكوكب فى عمره الطويل القصير ، وقد جثوا على الركب متميزين أمه أمة في ارتقاب الحساب المرهوب .. . وهو مشهد مرهوب بزحامه الهائل يوم تتجمع الأجيال كلها في صعيد واحد . ومرهوب بيئته والكل جاثون على الركب ، وموهوب بما وراءه من حساب ومرهوب قبل كل شيء بالوقفه أمام الجبار القاهر ، والمنعم المتفضل الذي لم تشكر أنعمه ولم تعرف أفضاله من أكثر هؤلاء الواقفين . ثم يقال للجموع الجاثية المتطلعة إلى كل لحظة بريق جاف ونفس مخنوق . يقال لها : ﴿ **اليوم تجزون ما كنتم تعملون ۞ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ [٢] فيعلمون أن لا شيء سينسى أو يضيع وكيف وكل شيء مكتوب ، وعلم الله لايند عنه شيء ولايغيب) [٣] . فياله من مشهد عظيم فى يوم مهول في موقف فيه تركع الأمم على ركبها لله رب العالمين مستذلة خائفة وجلة مما سيكون فى فصل القضاء من الجبار العظيم الذي لا محاباة فيه ولا مناظرة لأحد دون آخر بل حق يحصحص ، وحكم ينفذ فلله الأمر من قبل ومن بعد وإليه المصير .

---

[١] رواه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١١ حديث ٤٧١٨

[٢] سورة الجاثية ، الآيتان ٢٨ ، ٢٩

[٣] فى ظلال القرآن ٥ / ٣٢٣٣

سادسا: تسلم نتائج الأعمال

ان التطلع لنتائج الأمور لشيء عظيم يجعل فى الانسان القلق فى النفس والاضطراب في الجسم ، لأن الانسان ينتظر أحد أمرين إما بشرى بسعادة أو نبأ بخسران .

فكيف بأمر عظيم فيه فوز الانسان وسعادته أو خسارته وشقاوته ؟ ياله من مشهد عظيم فيه تتطاير الصحف – وتصور كثرة ذلك واتجاه كل صحيفة لصاحبها – فآخذ صحيفته بيمينه وهي تحمل البشر والسرور ، والنجاة من عذاب الله تعالى ، وآخذ صحيفته بشماله من وراء ظهره وهي تحمل السوء والبشارة بالعذاب : ﴿ **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** ﴾ [١] قال القرطبي : (فتوهم نفسك وأنت بين يدى ربك في يدك صحيفه مخبره بعملك لا تغادر بلية كتمتها ، ولا مخبأة أسررتها ، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل [٢]وقلب منكسر والأهوال محدقة بك ومن بين بديك ومن خلفك ، فكم من بلية قد كنت نسيت ذكرها وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها وكم من عمل ظننت انه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيما ، فيا حسرة قلبك ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعه ربك) [٣] قال الله تعالى : ﴿ **فاما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم**

---

[١] سورة التوبة ، الآية ٣

[٢] الكليل : الكل قفا السيف والسكين الذى ليس بحاد . وكل السيف والبصر وغيره من الشيىء الحديد يكل كلا و كلة و كلالة و كلولة و كلولا وكل فهو كليل . و كل لم يقطع . لسان العرب مادة (كلل) ١١ / ٥٩.

[٣] التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٠٩ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت

اقرءوا كتابيه ۞ إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ [١].

عرض كتابه على الملأ من الخليقة فرحا مسرورا بنتيجة النجاح ، ويود من الجميع أن يطلعوا على ذلك ، كما يخبرهم أن نتيجه ذلك لعلمه اليقيني في الدنيا بتحقق هذا اليوم فعمل من الأعمال ما أهله لهذا النجاح .

وقال تعالى : ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ۞ ولم أدر ما حسابيه ﴾ [٢] يتمنى المفرط أنه لم يعط كتابه ولم يعلم بالنتيجة لأن في ذلك أولا الحسرة ثم الفضيحة أمام الملأ ثم دخول النار .

حقا ان ذلك يوم التغابن كما وصفه الله تعالى : ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ [٣]. وهذه كلها مشاهد في بعضها الفرح والسرور وفى بعضها الحزن والأسى ، وكل ذلك يظهر واضحا جليا أمام الخليقة ، نسال الله السلامة والفوز والنجاة من الخسارة والفضيحة

---

[١] سورة الحاقة ، الآيتان ١٩ ، ٢٠

[٢] سورة الحاقة ، الآيتان ٢٥ ، ٢٦

[٣] سورة التغابن ، الآية ٩

مشاهد المؤمنين يوم القيامة

أولا : القول الحق من الرسل عند سؤال المولى لهم

قال الله تعالى : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب** ﴾ (١)

عن هول يوم القيامه يفزع كل أحد من مخلوقات الله تعالى إلا من أمن الله تعالى ؛ لأن عظمته عز وجل يستذل أمامها من كبر ومن صغر وأن علمه محيط بكل شيء فلا علم مع علمه ، لا تخفى عليه خافية يعلم السر وأخفى .

في ذلك اليوم الرهيب الذي فيه يملأ القلق النفوس ، ويصل الخوف منتهاه كما قال تعالى : ﴿ **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ (٢) . وكما قال تعالى : ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ (٣) نجد عباد الله الصالحين كلهم خير فى جميع أحوالهم الظاهرة والباطنه فإن سئلوا وتكلموا فبخير وصدق ، وإن صمتوا فعلى خير وتقى ، ورسل الله تعالى أصفى البشرية قلوبا ، وأزكاها أنفسا وأصدقها منطقا ، وأكثرها إيمانا ، وأطيبها خلقا ، وأعلمها بربها ومراده جل وعلا ، وما أعظم حكمته سبحانه وتعالى فى كل شئ خاصه وقد اختار من كل أمة أفضلها ، وكلفه بإبلاغ دينه ، فهاهم رسل الله جميعا يجيبون ربهم عند سؤالهم في ذلك المشهد العظيم والجمع الغفير بإرجاع

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١٠٩
(٢) سورة النور ، الآية ٣٧
(٣) سورة إبراهيم ، الآية ٤٢

العلم لأهله : ﴿ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ العلم لمن لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا في السماء ، قال لقمان لابنه وهو يعظه كما أخبر الله بذلك . ﴿ يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو في الأرض يات بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ (١) .

قال الاستاذ سيد قطب : (والرسل بشر من البشر لهم علم ما حضر وليس لديهم علم ما استتر ، لقد دعوا أقوامهم إلى الهدى فاستجاب منهم من استجاب ، وتولى منهم من تولى ، وما يعلم الرسول حقيقة من استجاب إن كان يعرف حقيقة من تولى ، فإنما له ظاهر الأمر وعلم ما بطن لله وحده . وهم في حضرة الله الذي يعرفونه خير من يعرف ، والذي يهابونه أشد من يهاب ، والذى يستحيون أن يدلوا بحضرته بشيء من العلم وهم يعلمون أنه العليم الخبير .

إنه الاستجواب المرهوب فى يوم الحشر العظيم على مشهد من الملأ الأعلى وعلى مشهد من الناس أجمعين . الاستجواب الذي يراد به المواجهة . مواجهه البشر برسلها ، ومواجهه المكذبين من هذه البشرية خاصة برسلهم الذين كانوا يكذبونهم ، ليعلن في موقف الاعلان أن هؤلاء الرسل الكرام إنما جاءوهم من عند الله بدين الله ، وهاهم أولاء مسئولون بين يديه – سبحانه – عن رسالاتهم وعن أقوامهم الذين كانوا من قبل يكذبونهم .

أما الرسل فهم يعلنون أن العلم الحق لله وحده ، أن مالديهم من علم لا

---

(١) سورة لقمان ، الآية ١٦

ينبغى أن يدلوا به في حضرة صاحب العلم تادبا وحياء ومعرفه بقدرهم في حضرة الله : ﴿ **قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب** ﴾ [١] .

ثم لننظر أمام الملأ والمولى عز وجل يخاطب أحد أنبيائه فيقول سائلا له : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله** ﴾ ؟ فنجد الرد الصدق من عيسى عليه السلام لربه عز وجل : ﴿ **قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ۞ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد** ﴾ [٢] .

وقد بين سبحانه وتعالى المقالة الصادقة من عباد الله الصالحين – الذين عبدوا من دون الله دون رضاهم [٣] – يوم القيامه فقال تعالى : ﴿ **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل** ﴾ ؟ فيجيبون كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى : ﴿ **قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وءاباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا** ﴾ [٤]. قال ابن عباس : بورا أى : هلكى ، وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري : أي لا خير فيهم [٥].

---

(١) فى ظلال القرآن ٢ / ٩٩٦

(٢) سورة المائدة ، الآيتان ١١٦ ، ١١٧

(٣) قال مجاهد : هو عيسى والعزيز والملائكة ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٤٩٩

(٤) سورة الفرقان ، الآيتان ١٧ ، ١٨

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٠٠

ثانيا : وجوه المؤمنين في يوم القيامة

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : (ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه ، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحه مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس) [١].

فكما أن هذا يعرف في الدنيا ، فكذا يكون يوم القيامة حيث يظهر النور على وجوه المؤمنين وتكون محاطة بنور الايمان الذي كان متغلغلا في القلوب ثم ظهر نوره على الوجوه وأصبح له ضياء في العيون ، ليكون ذاك صفة للمؤمنين الأتقياء بميزهم عن غيرهم من المجرمين ، وليغبطوا على ذلك ويهنأوا بهذا النعيم والكرامة . قال تعالى : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾ [٢]. فالناس في الموقف فريقان : أهل الايمان تشع وجوههم نورا ، وأهل الكفر والعصيان يخيم الظلام على وجوههم بسبب ما أبطنوه ومن سوء ما سيقابلون به ربهم وخالقهم أمام الملأ من الناس . قال تعالى : ﴿ **وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون** ﴾ [٣] . الجزاء من جنس العمل ، مثلما عملوا صالحا في الدنيا ، يبيض الله وجوههم يوم القيامه ويدخلهم الجنة . ﴿ **جزاء من ربك عطاء حسابا** ﴾ [٤] ثم تأتى الآيات

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٣١٣
[٢] سورة آل عمران ، الآية ١٠٦
[٣] سورة آل عمران ، الآية ١٠٧
[٤] سورة النبأ ، الآية ٣٦

مبينة مشاهد العز والكرامة للوجوه المؤمنة : قال تعالى : ﴿ **ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة** ﴾ [١] وجوه تتلألأ نورا قد أسلمها الله تعالى مما قد أصاب غيرها من الغبره والهوان ، والذا ، والخسران كما قال تعالى ﴿ **فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا** ﴾ [٢] وكما قال تعالى : ﴿ **تعرف فى وجوههم نضرة النعيم** ﴾ [٣] ، ونضره الوجه وسروره للمؤمنين تكون في الدنيا والآخرة كما أخبر الله تعالى ﴿ **سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** ﴾ [٤] هذه صفة كل مؤمن حق ، وان وردت فى الصحابة رضي الله عنهم إلا أن صفة المؤمنين واحده فى الدنيا والآخرة ، وإن اختلفت مقاماتهم ودرجاتهم . قال ابن جرير بعد ذكر ما ورد في معنى هذه الآية . (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى جل ذكره أخبر أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود ولم يخص ذلك على وقت دون وقت ، وان كان ذلك كذلك ، فذلك على كل الأوقات فكأن سيماهم الذى كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الاسلام وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته ، وآثار أداء فرائضه وتطوعه . وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به ، وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجه من أثر السجود) [٥].

فالحسن والبهاء يعلو تلك الوجوه المستنيره بنور الايمان ، وتزداد

---

[١] سورة يونس ، الآية ٢٦
[٢] سورة الإنسان ، الآية ١١
[٣] سورة المطففين ، الآية ٢٤
[٤] سورة الفتح ، الآية ٢٩
[٥] جامع البيان من تأويل أى القرآن ٢٦ / ١١٢ طبعة الحلبى - الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

صفاء بالنظر إلى الرحمن ، قال تعالى : ﴿ **وجوة يومئذ ناضرة ۞ إلى ربها ناظرة** ﴾ [١] . ويستمر البشر والوضاء على الوجوه في الزيادة من شده الفرح فتظهر ضاحكة مستبشرة بالنعيم الذي فازت به . قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ مسفرة ۞ ضاحكة مستبشرة** ﴾ [٢] أي : يوم القيامة يظهر اغتباطها بالفوز ، فتظهر بهذا المنظر الذي يشاهدهم به من كان فى ذلك الموقف على الوجوه متنعمة بما ظفرت به ، جزاء على ما قدمته من الأعمال الصالحة فى الحياة الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناعمة ۞ لسعيها راضية** ﴾ [٣] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : كنت عند رسول الله ﷺ وطلعت الشمس فقال : " **يأتى الله قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس** " فقال أبو بكر : أنحن هم يا رسول الله ؟ قال : " **لا ولكم خير كثير ، ولكنهم الفقراء المهاجرون الذين يحشرون من أقطار الأرض** " [٤] .

وعنه رضى الله عنه قال . وكنا عند رسول الله ﷺ يوما آخر حين طلعت الشمس فقال رسول الله ﷺ : " **سيأتى أناس من أمتى يوم القيامة نورهم كضوء الشمس** " قلنا : من أولئك يا رسول الله ؟ فقال : " فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته فى صدره يحشرون من أقطار الأرض " [٥]

---

[١] سورة القيامة ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣

[٢] سورة عبس ، الآيتان ٣٨ ، ٣٩

[٣] سورة الغاشية ، الآيتان ٨ ، ٩

[٤] رواه الإمام احمد في المسند ٢ / ٢٢٢ وقال أحمد محمد شاكر اسناده صحيح ١٢ / ٣٨ حديث ٧٠٧٢ .

[٥] رواه الإمام احمد في المسند ٢ / ١٧٧وقال أحمد محمد شاكر اسناده صحيح ١٠ / ١٣٦ حديث ٦٦٥٠

هذه الخاصية وإن جاءت لفئات مخصوصه من أمة محمد ﷺ إلا أن المؤمنين من أي أمة من الأمم لا تخلو من السيماء الطيبة ، والنور المشع ، والصفات البهيه ، والنضاره العلية ، التى يشاهدون بها أمام جموع الخليقة فى أرض المحشر ويميزون بها عن غيرهم ممن حاد عن الهدى واتبع الردى .

فهذه الفئاط من الناس قد اتصفوا بصفات أهلتهم لهذه المنزلة هى :

١ــ حقيقة الايمان الذي تغلغل في قلوبهم وأنساهم كل شئ سوى هذا الدين وطاعه رب العالمين .

٢ــ الهجرة في سبيل الله وقلوبهم تحن إلى أوطانهم ولكن محبة الله ورسوله أنستهم ذلك فانتقلوا من بلد الشرك إلى بلد الاسلام .

٣ــ الصبر على الفقر فى سبيل دينهم فلم يتشوفوا لحطام الدنيا الفاني ليصبح أكثر همهم أو مبلغ علمهم ، أو غاية رغبتهم بل كان طموحهم الدار الآخرة حتى وافاهم الأجل وهم في ضنك الحياة وشغف العيش .

فتصورهم وهم بين الناس على أرض المحشر وقد أصبح نورهم كضوء الشمس وهم في سعادة وحبور، وصفاء وسرور . ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ [١] .

ثالثا : من يضبطون فى موقف الحساب

للمواقف الإيمانية فى الحياة الدنيا أثرها الطيب في الدنيا والعقبى الحسنة فى الآخرة وخاصة ما يظهر واضحا جليا فى موقف لا يغنى

---

[١] سورة الحديد ، الآية ٢١

مولى عن مولى شيئا إلا من قربه الله تعالى ورضي له قولا وكان لـــه منزلة ومكانة ، وسنرى بعض من أوضحت الســـنة المطـــهرة عظـــم مكانتهم وعلو قدرهم :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **سبعة يظلـــهم الله يوم القيامة فى ظله** [١] **يوم لا ظل إلا ظله . إمام عادل ، وشاب نشـــأ فى عبادة الله ، ورجل ذكر الله فى خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبـــه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليـه ، ورجل دعته امرأه ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجـــل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه** " [٢].

هؤلاء سبعة أصناف من الناس يظلهم الله تعالى في ظله يوم تدنـــو الشمس من الناس ويلجمهم العرق وهؤلاء الأصناف وإن جاء ذكرهـــم بصيغة التذكير إلا أنه لايمنع أن يشترك النساءفي ذلـــك لأنـــهم كلـــهم مكلفون ويتساوون في الأعمال والجزاء ، فالامام العادل الذى أنصـــف في عباده ربه وأقام حكم الله على مراد الله وما جاءت بـــه رسـل الله تعالى ، لأنه كان قادرا على الظلم فلم يمنعه إلا خوفه من الله ، والشاب

---

[١] المراد بالظل في الحديث : الظل الحقيقي لا كما يؤوله المزوله بتاويلات . وهـو ظل العرش كما نطقت بذلك الاحاديث . عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قـال . قـال رسول الله ﷺ : " إن المتحابين باللة في ظل العرش " . انظر صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٦١ ورقمه ١٩٣٣, وعزاه للطبراني . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . (قال الله تعالى : ﴿ حقت محبتي على المتحابين ، اظلـهم فـي ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلي ﴾ انظر نفس المرجع السابق ٤/ ١١٦ ورقمه ٤١٩٦وله شاهد رقمه ٤١٩٧

[٢] رواه البخارى في صحلحه كتـاب الآذان بـاب ٣٦ حديث ٦٦٠ ، ورواه مسلم فـي صحيحه كتاب الزكاة حديث ١٠٣٠ ، ورواه الترمزي في كتاب الزهد باب ٥٣ حديث ٢٣٩١, والإمـام احمد في المسند ٤٣٩/٢ ، ورواه الإمام مالك في الموطا كتاب الشعر حديث ١٤ والنسائى في كتاب القضاة (الإمام العادل) ٨ / ٢٢٢ .

الذى التزم بعبادة ربه ، ولم تدفعه الشهوة وقوة الباعث على الحـــرام ، ومن تعلق قلبه ببيوت الله تعالى وان كان خارجـــها فقلبـــه دائمـــا فـــى المسجد لمحبته لعبادة الله تعالى ، واللذان تحابا في الله من أجل الصفات الدينية والإلتزامات الشرعية ولم يكن لغرض دنيوي ولم يفـــرق بينـــهم شيء إلا الموت ، ومن حصن نفسه من الزنا وان تيسر له ذلك ودعـــي إليه وكانت دوافعه من الجمال أو الأصل أو الشرف ، والذى أنفق المال على حبه وابتعد عن موطن الرياء والسمعة فدفع ذلك خفية يرجو ثـواب ربه ، ومن ابتعد عن الناس وتفكر في هذه المخلوقـــات وفـــى الايـــات الكونيه ، أو بلسانه بآيات الله التنزيلية فبكى من خشية الله والخوف مـــن الله ، جميعهم يوم القيامة فى أمن وأمان لأنهم في ظل الرحمن . نســـأل الله أن يجعلنا معهم فهو الكريم المنان .

قال ابن حجر العسقلانى : (قوله " **ســـبعة** " ظـــاهره اختصـــاص المذكورين بالثواب المذكور ، ووجهه الكرمـــانى : بمـــا محصلـــه أن الطاعة إما أن تكون بين العبد وبين الرب أو بينه وبين الخلق ، فالأولى باللسان وهو الذكر، أو بالقلب وهو المعلق بالمسجد، أو بـــالبدن وهـــو العفة [١] .

وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامد قال : خرجت أنا وأبـــي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا ، فكان أول مـــن لقينا أبا اليســـر [٢] صـــاحب رســـول ﷺ، ومعـــه غـــلام لـــه معـــه

---

[١] فتح البارى ٢ / ١٤٣

[٢] ابو اليسر : بفلح الياء الملثاه تحت والسين المحلة واسمه كعب بن عمرو شهد العقبة وبدرا وهو ابن عشرين سنة وهو أخر من توفى من اهل بدر رضي الله عنم توفـى بالمدينـة سنه خمس وخمسين ، انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠١ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

ضمامة [١] من صحف وعلى أبى اليسر ومعافري [٢] وعلي غلامه بردة ومعافري . فقال له يا عم إني أرى في وجهك سعفة [٣] من غضب . قال : أجل ، كان لي علي فلان ابن فلان الحرامي [٤] مال فأتيت أهله فسلمت . فقلت : ثم هو ؟ قالوا : لا . فخرج على ابن له جفر [٥] فقلت له . أين أبوك ؟ قال : سمع صوتك فدخل أريكة [٦] أمي فقلت : اخرج إلي ، فقد علمت أين أنت ، فخرج ، فقلت : ما حملك علي أن اختبأت منى ؟ قال أنا والله أحدثك ثم لا أكذب . خشيت والله أن أحدثك فأكذبك . وأن أعدك فأخلفك ، وكنت صاحب رسول الله ﷺ ، وكنت والله معسرا . قال قلت : آلله . قال : آلله ؟ قال : آلله ، قلت : آلله ، قال : فأتى بصحيفته فمحاها بيده . فقال ان وجدت فاقضني وإلا أنت في حل ، فأشهد بصر عيني هاتين – ووضع إصبعه على عينه – وسمع أذنى هاتين ، ووعاه قلبي هذا – وأشار إلي مناط قلبه – [٧]

---

[١] ضمامة من صحف : اي حزمه . وهى لغة في الاضمامة. النهاية فى غريب الحديث ٣/١٠١

[٢] بردة . والبردة الشملة المخططة وقيل كساء اسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب وجمعها برد . النهاية فى غريب الحديث ١ / ١١٦ ، ومعافرى : هي برود باليمن منسوبة إلي معافر وهي قبيلة باليمن والميم زائدة . النهاية في غريب الحديث ٣ / ٢٦٢ .

[٣] سعفة من غضب : نوع من السواد ليس بالكثير . وقيل هو سواد مع لون آخر. النهاية فى غريب الحديث ٢ /٣٧٤.

[٤] كان لي علي فلان بن فلان الحرامي : قال القاضي رواه الأكثرون الحرامي بفلح الحاء والراء نسبه إلي بني حرام ورواه الطبري وغيره بالزاى المعجمة مع كسر الحا ورواه ابن ماهان الجذامي بجيم مضمومه وذال معجمه . صحيح مسلم ٤/٢٣٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

[٥] ابن له جفر : الجفر هو الذى قارب البلوغ وقيل هو الذى قوى علي الأكل وقيل ابن خمس سنين صحيح مسلم ٤ /٢٣٢ . لحملق محمد فزاد عبد الباقي .

[٦] دخل اريكه امي : الأريكة : السرير في الحجلة من دونه ستر ولا يسمي منفردا اريكة ، وقيل: هو كل ما اتكئ عليه من سرير او فراش او منصة . النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٠

[٧] مناط قلبه : هو بفتح الميم . و في بعض النسخ المعتمده : مناط بكسر النون و معناها واحد . و هو عرق معلق بالقلب . انظر صحيح مسلم ٤ / ٢٣٠٢ لحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

رسول الله ﷺ وهو يقول : " من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله " (١)

ان هذه الخصلة الحميدة التي يحصل بها الافراج عن الآخرين (المعسرين) وأثرها العميق فى النفوس ، حيث إبراء الذمم مما قد ارتهنت به من الحقوق وعدم استطعتها من الوفاء بذلك والتخلص من شراكه ، و الذي جاء بالعفو ممن رغبوا فى ثواب الله تعالى ومشاركة إخوانهم المشاعر والأحوال والإيثار الذى قد يصعب أن يكون من أحد إلا لمن وفق إلى الخير . فكان الجزاء من الله تعالى على ذلك أعظم ، وذلك بان يفرج عنهم هم الموقف يوم القيامة وكرباته مثلما فرجوا عن إخوانهم في الدنيا فيظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وعن أبي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلى يوم لا ظل إلا ظلى** " (٢) إنها المحبة في الله تعالى لأن المحبة لغير الله باطله قال تعالى : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾ (٣) فهم يدعون يوم القيامة ويكونون في ظل الله تعالى ، لا يتأثرون من حرارة الشمس ولا مما يصيب الناس من شده الهول فى عرصات يوم القيامة . يجلسون على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء كما أوضحت

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الزاهد من حديث جابر الطويل وقصه ابى اليسر حديث ٣٠٠٦ رواه الترمذى من حديث ابي هريرة كتاب البيوع باب ٦٧ حديث ١٣٠٦ وقال : حسن صحيح ، رواه ابن ماجه في سننه كتاب الصدقات باب ١٤ ، رواه الدارمي في سننه كتاب البيوع باب ٥٠ ، رواه احمد في المسند عن ابي هريرة ٢/ ٣٥٩.

(٢) رواه الإمام احمد في المسند ٢ / ٢٣٧ ، ٣٢٨ وإسناده صحيح قاله احمد محمد شاكر ١٢ / ٢٢٠ حديث ٧٢٣٠ . رواه مالك فى الموطا كتاب الشعر باب ١٣ و الدارمي في كتاب الرقاق باب ٤٤ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧

ذلك السنة عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **قال الله عز وجل : " المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون و الشهداء** " [١] .

تصور الناس فى موقف الحساب وكرامات الله تعالى تظهر لأهل الصدق والوفاء فيكرمون أمام الجمع تمييزا لهم على حسن صنيعهم في الدنيا ورفعة وعلوا لشانهم ، عن عبد الله بن العاص رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال : " **إن المقسطين** [٢] **عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم و أهليهم وما ولوا** " [٣] .

وفي رواية عنه رضى الله عنه أنه قال ﷺ : "إن المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا فى الدنيا " [٤] .

هؤلاء الفئة من الناس عدلوا فيما أولاهم الله تعالى فى الدنيا من مسؤوليات علي خلافها وان كانوا قلة بين الناس فى الدنيا إلا أن مقامهم فى الآخرة عظيم وأي مقام أفضل من هذا المقام يدعون من الموقف ويجلسون علي منابر من لؤلؤ فى أفضل وأعلي مقام (بين يدي

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥٣حديث ٢٣٩٠ . وقل : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) المقسطون : العادلون . والإقساط والقسط بكسر القاف : العدل . يقال اقسط إقساطا فهو مقسط إذا عدل . وقال الله تعالى : ﴿ واقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ شرح النووي على صحيح مسلم ١٢ / ٢١١ .

(٣) رواه مسلم كتاب الإماره حديث ١٨٢٧ ، ورواه النسائى كتاب أداب القضاة ٨ /٢٢١ ، ورواه احمد فى المسند ٢ / ١٦٠ , وقل احمد محمد شاكر الاسناد ٩ / ٢٠٣ حديث ٦٤٩٢

(٤) رواه احمد في المسند ٢ / ١٥٩ ، ٢٠٣ , إسناده صحيح قاله احمد محمد شاكر حديثه ٦٤٨ .

الرحمن) (وعن يمين الرحمن عز وجل) يالله من مشهد يغبط أهلـــه من الجمع وهم تعلوا وجوههم النضـــارة والســـرور بـــهذه الكرامـــة ، والرضا من الرب الكريم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفا تضىء وجوههم إضـــاءة القمر ليلة البدر " [١] وفي روايه مسلم : " **على صورة القمر** " [٢] .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال النبـــى ﷺ : " **ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا – أو سبعمائة ألف شك** [٣] **فـــى إحداهما – متماسكين أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولـــهم واخرهـــم الجنة ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر** " [٤] . قـــال القرطبـــى : (المراد بالصورة الصفة يعنى أنهم في إشراق وجوههم علـــى صفـــة القمر ليله تمامه وهى ليله ١٤ ويأخذ منه أن أنـــوار أهـــل الجنـــة تتفاوت بحسب درجاتهم) ، وقال ابن حجر : (وكذا صفاتـــهم في الجمال ونحوه) . [٥]

وهذه الفئة من الناس جاءت أحاديث تبين أعمالهم التي بسببها نـــالوا هذه الكرامة وهو أنهم : (كـــانوا لا يكتـــوون ، ولا يســـترقون ، ولا

---

(١) رواه البخارى في صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٠ حدث ٦٥٤٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ٢١٦ , الإمام احمد في المسند ٢/٤٠٠ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث ٢١٧ .

(٣) الشك هنا هو ابو حازم : سلمه بن دينار احد رواة الحديث انظر فتح البارى ١١ / ٤١٣ .

(٤) رواه البخارى في صحيحه كتاب الرقاب باب ٥٠ حديث ٦٥٤٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب الأيمان حديث ٢١٩ .

(٥) فتح البارى ١١ / ٤١٣

يتطيرون ، وعلي ربهم يتوكلون) [١] ، فلم يكن الله تعالى ليضيع عمل عامل من ذكر أو أنثي .

رابعا: نورالمؤمنين يسعى بين أيديهم وبأيمانهم

قال الله تعالى : ﴿ **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [٢] . قال الشنقيطى رحمه الله تعالى : (ذكر جل علاه في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وهو جمع يمين ، وأنهم يقال لهم : ﴿ بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [٣] علامات السعادة والفوز تظهر واضحة جلية لأهلها فى الدنيا وفي عرصات يوم القيامة وفي مسيرتهم إلى دارهم الأبدية وفيّ نهاية أمرهم واستقرارهم .

فهم وهم يتوجهون إلى دارهم واستقرارهم يخرج الله لهم نورا يهتدون به ، ولكنهم يرون الأهوال العظام ويمرون بها فيخشون ربهم ويتوسلون إليه وكلهم رجاء في عفوه : ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين ءامنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير** ﴾ [٤]

وقال الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى : (المشهد هنا بإجماله

---

[١] صحيح البخارى كتاب الرقاق باب ٥٠ حديث ٦٥٤١ .
[٢] سورة الحديد ، الآية ١٢ .
[٣] أضواء البيان ٧ / ٨٠٨
[٤] سورة التحريم ، الآية ٨

وتفصيله جديد وهو من المشاهد التي يحييها الحوار بعد أن ترسم صورتها المتحركه رسما قويا ، فنحن نشهد هنا منظرا عجيبا : هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم ، ولكننا نرى بين أيديهحم وبايمانهم إشعاعا لطيفا هادئا ، ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم وذلك مشهد لطيف حقا ، فهذه الأجسام الانسانية المعتمة ، قد أشرقت وأضاءت ، وأشعت نورا يمتد منها فيرى أمامها ويرى عن يمينها ، وتوجه أبصارها نحن النظارة في ساحة العرض إلي هذا النور ، ثم ها نحن أولاء نراه وها نحن أولاء نسمع ما يوجه إلى المؤمنين والمؤمنات هؤلاء من تكريم وتبشير : ﴿ **بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [١] .

لقد عمم سبحانه بهذه المكرمة لعباده المؤمنين ثم خصص حيث أشاد بذكر الشهداء فقال تعالى . ﴿ **والشهداء لهم أجرهم عند ربهم ونورهم** ﴾ [٢] ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (أي لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم) [٣] .

والشهداء أجرهم جزيل وفضلهم عظيم ومكانتهم عالية عند ربهم .

قال تعالى :﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ [٤]

---

[١] مشاهد القيامه فى القرآن ٢١٠ دار المعارف بمصر .
[٢] سورة الحديد ، الآية ١٩
[٣] تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٨٦ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان تحقيق حسين إبراهيم زهران .
[٤] سورة آل عمران ، الآية ١٦٩ .

عن مسروق [١] قال : سالنا عبد الله (هو ابن مسعود) عن هذه الآيـة : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عنـد ربـهم يرزقون ﴾ ، قال : أما إنا سألنا عن ذلك . فقال [٢] : " أرواحهم فـى جوف طير خضـر ، لـها قنـاديل معلقـة بـالعرش ، تسـرح مـن الجنة [٣] حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربـهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا أي شيء نشتهى ؟! ونحـن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مـرات ، فلمـا رأوا انهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا . يارب ، نريد أن ترد لنا أرواحنـا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليـس لـهم حاجة تركوا " [٤]. و قد بين الرسول ﷺ بعض العطاء الموهوب من الله تعالى تكريما لعباده المؤمنين . عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من شاب شيبه فى سبيل الله كانت له نورا يوم

---

[١] مسروق . هو ابو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن امية الحداني الوافى العابد ، ساله عمر يوما عن اسمه فقال له : اسمي مسروق بن الأجدع فقال عمر : الأجدع شيطان . انـت مسروق بن عبد الرحمن ، روى عن الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابى كعب بن وغيرهم وكـان اعلـم اصحـاب ابـن مسـعود يمتـاز بورعـه وعلمـه وعدالتـه . التفسـير والمفسـرون ١/ ١١٩، دار الكتب الحديثة - بمصر .

[٢] هذا الحديث مرفوع لقوله . (إنا سالنا عن ذلك فقال :- يعني النبـي ﷺ -) ، شرح النـووى على صحيح مسلم ١٣ / ٣١

[٣] فيه بيان ان الجنة مخلوقة موجودة وهو مذهب اهل السنة وهي التـي اهبط منـها آدم وهـي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخره هـذا إجمـاع اهل السنة . وقالـه المعتزلـة وطائفـة مـن المبتدعة ايضا وغيرهم انها ليست موجودة وإنما توجد بعد البعث في القيامة ، قالوا والجنة التي اخرج منها آدم غيرها . وظواهر القرآن والسنة تدل لمذهب اهل الحق وفيـه إثبـات مجازاه الأموات بالثواب والعقاب قبل القيامة . قال القاضى عياض . وفيه ان الأرواح باقيـة لا تفنى فينعم المحسن ويعذب المسيء وقد جاء به القرآن والآثـار وهـو مذهب اهل السنة خلافا لطائفه من المبتدعة قالت تفنى . شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٣ ص ٣١.

[٤] رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة حديث ١٨٨١ , والترمذي في كتاب التفسير سورة ٣ حديث ٣٠١١ ، ابن ماجه كتاب الجهاد باب ١٦ ، و الدارمي كتاب الجهاد باب ١٨ ، واحمد في المسند ٣/ ٢٢٥

القيامة " [١]

الشعر قد يتغير من السواد إلى البياض لكبر الانسان ، وقد يتغير لبعض الحوادث والمؤثرات خوفا وخشيه من الله تعالى . عن ابن عباس رضى الله عنها قال : قال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله قد شبت ، قال :" **شيبتني هود والواقعة والمرسلات و ﴿ عم يتساءلون ﴾ و﴿ إذا الشمس كورت ﴾** [٢] .

فإذا حصل أحد الأمرين أو كلاهما فيمن قد استرعاهم الله تعالى عبادته وفارقوا الحياة الدنيا وهم وفاق من رضى أله تعالى ، كان هذا الشيب ضياء لهم يوم القيامة في الموقف ، وعلامة فارقة تميزهم عن غيرهم أمام الملأ من الناس ، وكرامة يغبطون عليها حث لزموا عندما فرط الناس وصبروا عندما تمتع الناس ، وأيقنوا عندما جحد الناس ، فتصور وأنت تراهم في عرصات يوم القيامة بين الخلائق وقد أضاءت شعور لحاهم بل شعور وجوههم بل شعور أجسامهم جميعا لأنهم مع الناس فى ذلك اليوم حفاة عراة . فما بالك بهؤلاء وهم فى ذلك الموقف الذي أحوج ما يكون فيه الانسان إلى رحمة أرحم الراحمين كلهم نور يتلألأ يغبطم عليه الناس فيا لها من بشارة من الرب الكريم بالخير والسعادة لهذا الصنف من الناس الذين عملوا صالحا في حيالهم الدنيا

---

(١) رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد باب ٩ حديث ١٦٣٥ . و قال هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٢) رواه الترمذى في كتاب التفسير باب ٥٧ ، حديث ٣٢٩٧. وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث بن عباس إلا من هذا الوجه . وروى على بن صالح هذا الحديث عن ابى جحيفة نحو هذا وروا عن ابي إسحاق عن ابى ميسره شيء من هذا مرسلا . وروى ابو بكر بن عياش عن ابي إسحاق عن عكرمة عن النبى ﷺ نحو حديث ثيبان عن أبى إسحاق ولم يذكر فيه عن ابن عباس حدثنا بذلك هاشم ابن الوليد الهروى حدثنا ابو بكر بن عياش .

وماتوا على ذلك ولقوا ربهم وهم على ذلك فجازاهم بهذا ﴿ **جزاء من ربك عطاء حسابا** ﴾ (١) .

خامسا : صفات الكافرين

لقد ميز الله تعالى عباده يوم القيامة بصفات فجعل للمؤمنين صفات تدل علي نجاحهم وفلاحهم ، وجعل للكافرين صفات تدل علي خزيهم و خسرانهم . ومن أهم الصفات اللي تميز الكافرين يوم القيامة :

أ- سواد الوجوه :

قال تعالي : ﴿ **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين** ﴾ (٢)

إنها الوصمة التي طبعت بها الوجوه حتى تغيرت من البياض والنضارة إلى السواد والظلمه جزاء علي شركهم بربهم في عبادته ثم مصيرهم إلى جهنم وبئس المهاد . وقال تعالىُ : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ (٣) .

لا يزال القرآن الكريم يبين لنا هذا المشهد الفاضح ويبين ما يقابله من مشاهد المؤمنين حيث بياض وجوههم ليكون فى ذلك عظة لأولي الألباب ، ولا يتوقف الأمر علي السواد فحسب بل هذه وصمه يعقبها العذاب في نار جهنم قال تعالى: ﴿ **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كانما أغشيت وجوههم**

---

(١) سورة النبأ ، الآية ٣٦
(٢) سورة الزمر ، الآية ٦٠
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٠٦

قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [١] في هذه الآية الكريمة مشهدان :

المشهد الأول : ترهقهم ذلة ، فيعتريهم الخوف والقلق من معاصيهم .

المشهد الثانى : كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما ، من الذل وسوء ما قدموا قد علاها السواد والظلمه .

وقال تعالى : ﴿ **ووجوه يومئذ باسرة ۞ تظن أن يفعل بها فاقرة** ﴾ [٢] قال الفخر الرازي : (والمعني أنها عابسة كالحة قد أظلمت ألوانها وعدمت أثار السرور والنعمة منها لما أدركها من الشقاء واليأس من رحمة الله ولما سودها الله حين ميز الله أهل الجنة والنار . . وإنما كانت بهذه الصفة لأنها أيقنت أن العذاب نازل وهو قوله :﴿ **تظن أن يفعل بها فاقرة** ﴾ والظن هنا بمعنى اليقين [٣] .

﴿ فاقرة ﴾ : (داهية تقصم فقار الظهر) [٤] وقال تعالى : ﴿ **ووجوه يومئذ عليها غبرة ۞ ترهقها قترة ۞ أولئك هم الكفرة الفجره** ﴾ [٥] قال الشيخ صديق خان [٦]: ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكفار فقال : ﴿ **ووجوه يومئذ عليها غبرة** ﴾ أى غبار وكدورة لما تراه ممن أعد من العذاب ﴿ **ترهقها قترة** ﴾ أى يغشاها ويعلوها كساد وكسوف ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في

---

(١) سورة يونس ، الآية ٢٧

(٢) سورة القيامة ، الآيتان ٢٤ ، ٢٥

(٣) تفسير الفخر الرازى المشهور بالتفسير الكبير بمفاتيح الغيب ٣٠ / ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ٤ / ١٩٢

(٥) سورة عبس ، الآيات ٤٠ - ٤٢

(٦) صديق خان : هو محمد صديق خان بن حسن بن على بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجى ابو الطيب ، من رجال النهضة الإسلاميه المجددين ، ولد ونشا في قنوج (بالهند) سنة ١٢٤٨ هـ . انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ، ص ١٦٧ .

الوجه) [١] أ . هـ .

ظلمات بعضها فوى بعض وخزى وندامه اجتمعت على أولئك الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يوم القيامة بكفرهم وفجورهم في حياتهم الدنيا .

ب - تنكيس الرؤس :

قال الله تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون** ﴾ [٢].

وهنا صفة أخرى ومشهد محزن لأولئك القوم يوم القيامه ، فهم على أرض المحشر مع سواد وجوهم وذلهم وحقارتهم خافضوا الرؤس مديموا النظر إلى أسفل من الخجل والحياء ، يقولون : يا ربنا الآن عرفنا وعقلنا ما كنا نكذب به فى الدنيا فاعدنا ثانية لنعمل الصالحات ، فقد تحققنا بحقيقة ماكنا نوعد .

وقد أخبر الله عز وجل - العالم - بحقائق الأمور ما كان وما سيكون بأنهم ولو ردوا – لعادوا لما كانوا عليه فقال تعالى : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون** ﴾ [٣]

قال قتادة [٤] عند قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ۞ لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ [٥] الآيه : (والله ما تمني أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيره

---

(١) فتح البيان فى مقاصد القرآن ١٠ / ٢٤٤

(٢) سورة السجدة ، الآية ١٢

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٢٨

(٤) قتاده : : هو ابو طالب قتادة بن دعامة السدوسى الأكمة عربي الأصل كان يسكن البصره . انظر تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥١ .

(٥) سورة المؤمنون ، الآيتان ٩٩ ، ١٠٠

ولا بان يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز و جل فرحم الله امرءا عمل فيما بتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلى النار) [١]

جـ -حشره على وجهه إلى النار :

قال الله تعالى : ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا** ﴾ [٢] .

مشهد من المشاهد المخزيه ، ومنظر غريب لم يتعوده الانسان من قبل ، ولم تكن له سابقة معروفة حتى عند الحيوانات العجماء ، فكما أن المؤمنين كانوا يسيرون على هدى واستقامه ، فالكفرة يسيرون على عمى وضلاله ﴿ **أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم** ﴾ [٣] .

فجازاهم الله تعالى على ذلك فامشاهم على وجوهم وهم لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون زيادة في بشاعة المنظر وسوء المنقلب ، فما بالك بهم وهم بهذا المنظر أمام الملأ يتجهون إلى مأواهم الأخير وهى نار جهنم لا تفتر عنهم بل يزاد في سعيرها عليهم .

قال تعالى : ﴿ **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا** ﴾ [٤] عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا قال : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : " **أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم**

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٤٠٩

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٩٧

(٣) سورة الملك ، الأية ٢٢

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٣٤

القيامة ؟ " [١] قال قتادة : بلى وعزة ربنا [٢] .

قال ابن حجر : (والحكمه فى حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في القيامة إظهارا لهوانه بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في النوقى عن المؤذيات) [٣] .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا .

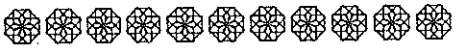

---

[١] رواه البخارى في صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٥ حديث ٦٥٢٣ ، رواه مسلم في صحيحه كتاب صفحة المنافقين حديث ٢٨٠٦

[٢] قال ابن حجر : قال قتادة : (بلى وعزة ربنا) موصول بالسند المذكور ، انظر فتح البارى ١١ / ٣٨٢

[٣] فتح البارى ١١ / ٣٨٢

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين النبي الصادق الأمين اللهم صلى وسلم وبارك عليه وآله أجمعين ــ وبعد ــ ٠

من خلال هذا البحث عرفنا أنه يجب أن نجعل مشاهد يوم القيامة أمام أعيننا لأنه قادم لا محالة وأن أهوال هذا اليوم مما يجعل الولدان شيبا وأن الكون كله سيتعرض لهول ذلك اليوم من سماء ونجوم وشمس وقمر وأرض وجبال وبحار وتنزل الملائكة بامر ربها وينكشف الحجاب وكل إنسان يتعرض لهول ذلك اليوم فالمؤمن يسعى نوره بين يده ويهديه الله إلى ما فيه سعادته في الآخرة والكافر يقول ياليتنى كنت ترابا فمن جعل هذه المشاهد بين عينيه فإنه يعمل لهذا اليوم ومن استعد له نجا ومن لم يعبأ به فإنه هالك لا محالة ، وقد ذكر الله لنا هذه المشاهد وغيرها كى نقف على الحقيقة الدامغة التى لا محيص عنها فالمؤمن الحق هو الذي يعمل لآخرته ويستعد للقاء ربه ويخشه ويتقه فى الحياة الدنيا ومشاهدها مما يخلع القلوب ويزعج النفوس فطالب الجنة لا ينام ، فهو فى خوف ووجل مستمرين ، وأمره بين الخوف والرجاء وداخل النار لا ينام قلبه فهو في عصيان لله مستمر ولا يابه بما جاء بالقرآن الكريم وكذلك بما جاء به الصادق . المصدوق ﷺ ٠

إلا فنضع أمام أعيننا مثل هذه المشاهد التي تجعل الولدان شيبا والتي تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وتجعل الناس سكارى من شدة الهول .

ونسأل العز وجل أن يبصرنا بديننا وأن يوفقنا بهديه إلى ما يحب ويرضى إنه نعم المولى ونعم النصير – وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

المراجع

كتب التفسير :

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ط عالم الكتب .

٣ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي ط .

٤ ـ التفسير القيم لابن القيم ط دار الفكر تحقيق محمد حسان الفقي ، وجمعة محمد أبو يس الندوي .

٥ ـ تكرار القرآن لمحمد بن يوسف بن علي بن سعد الدين الكرماني المتوفى سنه ٧٨٦ هـ .

٦ ـ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي .

٧ ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير .

٨ ـ جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ ط الحلبي .

٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود شكري الألوسي ط المنيرية .

١٠ ـ في ظلال القرآن للعلامة الأستاذ سيد قطب ط دار الشروق ط الثالثة .

١١ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية عن علم التفسير لمحمد علي الشوكاني .

١٢ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ، دار الفكر العربي ط ١ .

١٣ ـ التفسير الكبير المسمى بـ : مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي .

١٤ ـ التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي نشر مكتبه وهبه .

كتب السنة :

١ ـ المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري

٢ ـ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ط دار الحديث .

٣ ـ سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ط دار الكتب العلمية .

٤ ـ سنن الدارمي للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهران الدارمي المتوفى سنة ٢٥٥ هـ .

٥ ـ سنن ابن ماجة ط دار الفكر ـ بيروت .

٦ ـ سنن النسائي .

٧ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الألباني .

٨ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ط الريان .

٩ ـ صحيح الامام البخاري أبو عبد الله محمد بن الحسن إسماعيل البخاري .

١٠ ـ صحيح الامام مسلم : مسلم بن الحجاج القشيرى .
١١ ـ الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي .
١٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.
١٣ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني تحقيق أحمد شاكر .
١٤ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل ط دار الفكر العربي .
١٥ ـ مشكل الآثار للإمام الطحاوى .
١٦ ـ موطا الامام مالك بن أنس .

مراجع أخرى :
١ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى .
٢ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد .
٣ ـ مشاهد القيامة للشبغ سيد قطب ط دار المعارف المصرية .
٤ ـ النهاية فى غريب الحديث لأبن الأثير .
٥ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ط دار الفكر لبنان .
٦ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ط دار العلم للملايين .
٧ ـ لسان العرب لابن منظور .